المفارقة في رواية "جمعة القفاري يوميات نكرة" لـ: مؤنس الرزاز

د. حمد الله المناصير(*) د. حامد الرواشدة(**)

الملخّص

تبرز المفارقة ظاهرة أسلوبية في أدب مؤنس الرزاز، وتشكل سمة واضحة في شخصية الأديب نفسه، ورواية "جمعة القفاري، يوميات نكرة" تكاد تكون أكثر رواياته تمثّلًا لهذه الظاهرة الأسلوبية؛ إذ تشكل شخصية "جمعة القفاري" أنموذجًا أشدّ إشكالية وإثارة ومفارقة؛ فهي الباحثة عن القيم السامية العالية في مجتمع يتأرجح بين التمسك والتفكك، شخصية منتمية إلى هويتها العروبية، لكنها تشعر بالخذلان، وتعشق الانتماء للمكان والإنسان، ولكنها تعاني قسوة الاغتراب.

الكلمات المفتاحية: الرواية، المفارقة، جمعة القفاري، ظاهرة، أسلوبية، شخصية، الانتماء.

(*) مركز اللغات، الجامعة الأردنية.

(**) مركز اللغات، الجامعة الأردنية.

Paradox in Munes Al Razaz's Novel "Juma'aAlkafari: Yawmiyat Nakerah"

Abstract

Paradox characterizes Al Razaz's literature as a stylistic phenomenon and forms a clear characterizes of the novelist's personality himself. This novel "Jumama,a AlKafaari' seems to be the most representative of that stylistic phenomenon.

While the character of Juma'a Al Kafari' forms the most exciting, problematic and paradoxical model, he seeks high, sublime values in a society that fluctrates between devotion and dissociation. Though he is committed to his Arab identity and belongs to place and man, he feels frustrated and suffers the hardship of alienation.

Key words: Novel, paradox, Juma'a Alkafari, phenomenon, stylishcs character belonging.

مفهوم المفارقة:

ظهرت المفارقة في الأدب الإنجليزي في القرن السادس عشر، غير أنها لم تبرز كمصطلح نقدي إلا في بداية القرن التاسع عشر، وظل المصطلح "يدور على ألسنة المعتنين بالفن، متخذاً معاني متعددة حتى يومنا هذا، مما ألبسه وجوهًا مختلفة من الفهم والتحديد"(١).

وتستمدّ المفارقة مفهومها العميق من معنى التناقض الظاهري (Paradox)، ومن معنى السخرية (Irony) وقد وردت مفردة (آيرونينيا) في كتاب أفلاطون [الجمهورية] في بادئ الأمر، وقد دلت على الاستخفاف والسخرية.

وتطور المفهوم "ببطء شديد في إنكلترا وفي بقية البلاد الأوروبية الحديثة، ولم يلتفت أحد أول الأمر إلى المعاني الأكثر أهمية عند [كيكيرو] و[كوينتليان] إذ تكون المفارقة وسيلة لمعالجة الخصم في جدال، أو وسيلة لفظية في مجادلة بأكملها، وبقيت المفارقة لأكثر من قرنين من الزمان تعدّ صيغة بلاغية بالدرجة الأولى"(٢).

وتبرز المفارقة ظاهرة أسلوبية في النقد الحديث، مع أنها وظّفت في الإبداع الأدبي منذ زمن بعيد، ومما لا شكّ فيه أن المفارقة تنتشر على

---

١. سامح الرواشدة، **المفارقة في شعر أمل دنقل**، دراسات (العلوم الإنسانية) المجلد٢٢، العدد (٦، الملحق)، ١٩٩٥م، ص٣٧٨٧.

٢. ميويك، د.سي، **المفارقة**، "**موسوعة المصطلح النقدي**"، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٨.

ألسنة الناس بشكل فطري وبدهي؛ غير أن توظيفها في الأدب يحتاج إلى مهارة عالية، من حيث اختيار التوقيت المناسب، ومن حيث الغاية التي حددّت لها.

وتحظى بأهمية كبيرة في مجال الأدب، "حين تمنحنا فرصة التأمل فيما تقع عليه أعيننا، أو أن يتنبه عليه إدراكنا، مما يحيط بنا من مظاهر التناقض والتغاير"[١] وهي "تحمل في طياتها معاني كثيرة: كالسخرية، والغمز، والهزء، واللذع، والقبض على التناقض، والهجوم على المستقر الراكد، وخرق السنين إلى غير ذلك"[٢].

وإذا اتفقنا أن مصطلح المفارقة في أساسه ترجمة لمصطلح غربي؛ فإننا "لا نتوقع أن نجد هذا المصطلح في تراثنا العربي"[٣] لكنّ المفارقة "لم تستعمل بدلالتها الاصطلاحية إلا مؤخرًا، وتحديدًا حين ترجم عبدالواحد لؤلؤة كتاب د.سي ميويك بعنوان [المفارقة] ونشرته دار الرشيد ببغداد عام ١٩٨٢م، ضمن موسوعة المصطلح النقدي... ثم تردد المصطلح بعد هذا في دراسات محدودة العدد"[٤].

---

١. سامح الرواشدة، المفارقة في شعر أمل دنقل، دراسات (العلوم الإنسانية) المجلد٢٢، العدد (٦، الملحق)، ١٩٩٥م، ص٣٧٨٧.

٢. بسام قطوس، **مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٣٨.

٣. ناصر شبانة، **المفارقة في الشعر العربي الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٨.

٤. عبدالقادر الرباعي، عرار: **الرؤيا والفن (قراءة من الداخل)**، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٢م، ص١٤٩.

أما في الاستعمال الأدبي والبلاغي عند العرب، فقد استعملت مصطلحات أخرى، حملت بدورها شيئًا من دلالات مصطلح المفارقة مثل: [التعريض] و[التشكك] و[المتشابهات] و[تجاهل العارف] و[تأكيد المدح بما يشبه الذم] و[تأكيد الذم بما يشبه المدح]"[١].

والمفارقة" أسلوب مثير؛ لأنه في أخصّ خصائصه، ناتج عن تصادم داخل النفس بين ما يتوقع وما يحدث واقعًا، وهي حيلة بلاغية يستخدمها الكتّاب للتعبير عن معنًى يتضاد مع معنًى آخر مستقرّ في الذهن"[٢].

وتنطلق المفارقة من قاعدة اللامتوقّع؛ فثمة فارق بين المقدمة والنتيجة، وهي تتعارض مع منطقية الأشياء، ففي حين أن المقدمة تؤدي إلى نتيجة منطقية في الأمور الطبيعية، فإن الأحداث في المفارقة تؤدي إلى النقيض مما يتوقع.

فالمفارقة تتطلب "تضادًا أو تنافرًا بين المظهر والمخبر، كما أنها تكون أشدّ وقعًا عندما يشتدّ التضاد، إذا بقيت الأشياء الأخرى على حالها"[٣] فالمفارقة عنده "أن تقول شيئًا وتقصد العكس"[٤].

ومما لا شك فيه أن الأدب يعكس الواقع، ومن هنا فإن المفارقة هي مفردة من مفردات الواقع، أو أسلوب من أساليبه؛ فالمريض الذي يعيش

---

١. خالد سليمان، **المفارقة والأدب "دراسات في النظرية والتطبيق"**، دار الشروق، ط١، عمان، ١٩٩٩م، ص٢٢.

٢. عبدالقادر الرباعي، عرار: **الرؤيا والفن (قراءة من الداخل)**، ص١٤٣

٣. ميويك، د.سي، **المفارقة، "موسوعة المصطلح النقدي"**، ص٤٩.

٤. المرجع السابق، ص١٨.

طويلًا، بينما يموت طبيبه الذي يتوقع موته قريبًا، هو صورة من صور المفارقة، والمنتحر الذي يقفز عن بناية عالية، ويسقط على رأس أحد المارة المتفائلين بالحياة ليقتله، ما هو إلا صورة سوداء من صور المفارقة.

إن توظيف المفارقة في العمل الإبداعي يحتاج إلى ذائقة فنية عالية، وإلى قدرة فكرية فائقة، وإلى ثقافة واسعة، حيث "إن صانع المفارقة الذي يقوم بإغلاق البنية، أو بالأحرى فتحها على أكثر من احتمال، لا بدّ أن يقدم لقارئه المفترض مفتاحًا؛ ليتمكن من العثور على المعنى المخبأ في ثنايا البناء، وهذه المفاتيح عادة ما تكون قرائن سياقية لا قرائن لفظية"(١).

وهناك وجهة نظر في مسألة اتصاف الأديب بالمفارقة، تقول: "إن المفارقة صيغة بلاغية، وأنها تقنية أسلوبية، ومن ثم فإنّ أي روائي يستطيع أن يستعملها متى يشاء،... وهناك وجهة نظر أخرى، تقول: إن المتصف بالمفارقة، هو ذلك الشخص الذي يجد في نفسه إحساسًا خاصًّا بها، وقدرة فطرية على تمثلها وفهمها، وهو ذلك الشخص الذي لا يستطيع أن ينظر إلى شيء دون تصوّر نقيضه"(٢).

---

١. ناصر شبانة، **المفارقة في الشعر العربي الحديث**، ص٥.

٢. حسن حماد، **المفارقة في النص الروائي**، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٧٨-٧٩.

لماذا "المفارقة" في "جمعة القفاري، يوميات نكرة"؟

إن المبدع الحقيقي هو الذي يترك لموضوعه أن يختار الأسلوب الأمثل، فكلّ جسدٍ له رداؤه الخاص الذي يناسبه من حيث الجمال، فليس كل عمل أدبي يناسبه أسلوب المفارقة.

لقد وظّف مؤنس الرزاز المفارقة في روايته هذه؛ لأن شخصية "جمعة القفاري" هي شخصية إشكالية، تعاني إشكالية الاندماج في المجتمع، تعيش الاغتراب في وطنها، ترى ما لا يراه الآخرون، وتشعر بما لا يشعر به الآخرون، فجمعة يخاطب نفسه قائلاً: "ولم أكن أبله ولا ولدًا، غير أنني غريب لا يحسن التأقلم والتكيّف"[١].

وهذه الشخصية قد اختارت هذا الأسلوب الفني – المفارقة؛ لتقديم نفسها وأفكارها.

فجمعة القفاري "أنموذج البراءة والعفوية والطفولة الأولى، في زمن الزيف والكذب، فيكون له أن يصطدم عبر يومياته بكل منوعات القبح في حياتنا من البيت والمدرسة إلى العمل والنقابة، من سلطة الأب وسلطة الكبار إلى سطوة السلطة وهيمنة قساة العالم"[٢].

وتبرز السخرية ثيمة واضحة في أدب مؤنس الرزاز، وهي سمة أساسية أيضًا في شخصيته؛ فلم يأت توظيف السخرية تصنعًا أو تكلفًا أو

---

١. مؤنس الرزاز، **جمعة القفاري يوميات نكرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩١م، ص١١٩.

٢. مجموعة من المؤلفين، **هاملت عربي "مؤنس الرزاز"**، شهادات وحوارات ودراسات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٠.

حتى مجرد تقنية، ولكنها طبع أو إفراز طبيعي لنفسه الساخرة، ويعلل ذلك قائلًا: "السخرية السوداء خير سلاح لمواجهة فجائع الواقع المعاش، والخاسر الذي يضحك من جراحه منتصرًا في حقيقة الأمر، والمهزوم الذي يضحك من هزائمه هو الرابح الأكبر... أحيانًا أسخر من نفسي، وأحيانًا من رفاقي، وأحيانًا من أمتي"(١).

وتتلاشى المسافة بين المؤلف مؤنس الرزاز وبين جمعة القفاري من حيث الرؤية والأسلوب إذ يبوح مؤنس: "بأنه هو نفسه يكاد يكون جمعة القفاري"(٢).

ومن هنا فإننا سندرس المفارقة في رواية [جمعة القفاري، يوميات نكرة] من خلال المحاور الآتية:

- مفارقة العنوان.
- مفارقة اللغة.
- مفارقة الصورة والوصف.
- مفارقة الرؤية.

مفارقة العنوان:

العنوان فاتحة الموضوع، وهو يشكّل مدخلًا رئيسًا لفهم ما يدور داخل النص، وينماز بالتكثيف، والإثارة، والشمول، والاقتضاب، ولعلّ أول

---

١. مجموعة من المؤلفين، **هاملت عربي** "مؤنس الرزاز"، شهادات وحوارات ودراسات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٠.

٢. هاملت عربي، السابق، ص٥٢.

صورة من صور المفارقة في العنوان في رواية "جمعة القفاري، يوميات نكرة" كثرة العناوين التي تشكل خرقًا لأسلوبية الرواية بشكل عام. فقد جاء عنوان الرواية الرئيس: "جمعة القفاري، يوميات نكرة"، يقول جمعة القفاري عن اسمه: "اسمي جمعة القفاري، مع أن اسمي الأول يوحي بزمان، واسم عائلتي يوحي بمكان إلا أن هذه الحوارات التي سجلتها في مذكراتي تحمل دلالات أكثر أهمية من الدلالات التي يحملها اسمي"[١] فهو يعني من هذا الكلام، أن اسمه "جمعة"، وجمعة هو أحد أيام الأسبوع، يوحي بالعطل وعدم التفاعل مع العمل والحياة والعطاء، واسم عائلته "القفاري"، والقفار هو الأرض الجدباء التي لا تثمر ولا تعطي، والتي توحي بالفقر والفاقة، وكلاهما يرمز إلى حالة "جمعة القفاري" الذي يعاني ضنك العيش، والتعطّل عن العمل، وفقر العلاقات الاجتماعية، فاختيار هذا العنوان يثير المفارقة والتعجب؛ وذلك بما يتناسب مع قصته مع هذه الحياة، ومما يزيد الشعور بالمفارقة هو ادعاؤه أن الحوارات التي يسجلها في مذكراته ذات أهمية وعمق؛ إلا أن المتأمل لهذه الحوارات يجد النقيض من ذلك بما تحتوي من سطحية وعدم الأهمية.

أما العناوين الثانوية الداخلية فهي تنوء على ثلاثين عنوانًا، وهي تحمل مفاتيح لتلك الحكايات أو المشاهد؛ إذ تبرز المفارقة في لغتها ودلالاتها وصورها، ومنها: "جمعة يعترف: أنا نكرة، جمعة يتحدث إلى القراء!"[٢]

---

١. مؤنس الرزاز، **جمعة القفاري يوميات نكرة**، ص١٢.

٢. المصدر نفسه، ص٩.

"جمعة يشم الهواء"[١] "لغة الواع – ويع"[٢] "جمعة القفاري في شهر العسل"[٣] "مشهد من مراهقة جمعة القفاري"[٤] "مشهد يصور العلاقة بين جمعة ووداد: غرام وانتقام[٥] "كيف تصدعت العلاقة بين وداد وجمعة"[٦] "المشهد الذي يدرك جمعة فيه أن هذا العالم ليس لنا!"[٧] "ما الذي حصل بالضبط ؟ لماذا فصلوا الغلباوي من المؤسسة"[٨] "جمعة وكثير الغلبة يتسكعان"[٩] "مشهد حول صراع على السلطة بين جمعة وصبي الجزار"[١٠] الجزار"[١٠] "النار بعد الدخان"[١١] "مشهد: جمعة والغلباوي يتصعلكان"[١٢] "مشهد: استجمام في المستشفى"[١٣] "هكذا تكلم [كثير الغلبة].."[١٤] "مشهد:

---

١. مؤنس الرزاز، **جمعة القفاري يوميات نكرة**، ص١٢.
٢. المصدر نفسه، ص١٢.
٣. المصدر نفسه، ص٣٣.
٤. المصدر نفسه، ص٥٧.
٥. المصدر نفسه، ص٦٩.
٦. المصدر نفسه، ص٧٢.
٧. المصدر نفسه، ص٧٩.
٨. المصدر نفسه، ص٩٠.
٩. المصدر نفسه، ص٩٦.
١٠. المصدر نفسه، ص١٠٠.
١١. المصدر نفسه، ص١٠٧.
١٢. المصدر نفسه، ص١٢٤.
١٣. المصدر نفسه، ص١٣٢.
١٤. المصدر نفسه، ص١٥٠.

جمعة في سوق الصاغة"[١] "مشهد: قبول النقد... عادة تنمو من المران"[٢] المران"[٢] إن المتأمل لهذه العناوين يجد أنها تضجّ بالسخرية السوداء؛ إذ يشبّه الراوي "فاضل الغلباوي– كثير الغلبة" بحكيم الفرس "زرادشت"، حين يطلق عليه العنوان: "هكذا تكلم [كثير الغلبة]"؛ وهو يتناص مع عنوان الكتاب الشهير: "هكذا تكلم زرداشت".

وفي عنوان آخر: "مشهد: استجمام في المستشفى"؛ فأي سخرية تلك من الواقع المرير الذي يعيشه جمعة بحيث يرى المستشفى فندقًا أو استراحة، يهرب إليه من قسوة الحياة. وفي عنوان آخر: "المشهد الذي يدرك جمعة فيه أن هذا العالم ليس لنا"، إذ يصل جمعة إلى حقيقة أنه غريب في هذا المجتمع الذي يعاني سقوط القيم النبيلة، وتدهور الأخلاق السامية.

مفارقة اللغة:

اللغة وسيلة للتواصل بين البشر، وتبقى لغة حية تتطور وتماشي العصر، وهي تعبر عن الحاضر بأسلوبيتها ودلالاتها، ولكن حين تخرج اللغة عن مسارها، من حيث الاشتقاق الغريب، أو توظيف المحسنات البديعية بطريقة غير مألوفة، أو استخدام مصطلحات لغوية قديمة، عندئذٍ تبرز مفارقة اللغة: ومثال ذلك: "لغة الواع – ويع"[٣] "فجمعة القفاري" يخترع لغة خاصة، ويطلق عليها اسم "لغة الواع – ويع"، ولكنه يفسّر سر

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٨٩.

٢. المصدر نفسه، ص١٩٩.

٣. المصدر نفسه ، ص٢٧.

هذه اللغة حين يقول: "واع – ويع، ليست أغنية لمحمد عدوية، وإنما هي الأصوات الصاخبة التي يطلقها ابن أختي عائشة: الرضيع"[١] وفي مثال آخر، يقول: "وفي تلك اللحظة انعطبت عجلة السيارة، فما أن ترجلت من السيارة حتى طلع جنين الشمس وظهر كمينها، وانتصب قطب جحيمها، وإذا نحن والسيارة مدار رحاها"[٢].

والملاحظ أن الكاتب يوظّف لغة المقامات، وأسلوبية المقامات حين يستخدم الكلمات ذات السجع "كمينها، جحيمها".

ويقول: "كان جمعة يقتعد الأرض، يقرأ كتب المتصوّفة آناء الليل وأطراف النهار، ثم ينهض بتثاقل، ويمضي إلى المطبخ، فيجلس إلى الطاولة ويكتب"[٣].

وتبرز مفارقة اللغة في استخدام التناص مع القرآن الكريم [آناء الليل وأطراف النهار] والتي أوحى بها اهتمامه بالصوفية، وهي لغة تختلف في شكلها مع لغة الرواية بشكل عام؛ ولذلك تكمن المفارقة في اختيار اللغة المختلفة التي تتناسب مع لغة القرآن الكريم.

ويقول: "كان كثير الغلبة يحشو غليونه بالتبغ، ويحشو فمه بالكلمات"[٤] "وجاءت المازات، وجاء زبائن آخرون، وجاء جمعة العقل الأعوج فقال

---

١. مؤنس الرزاز، ص٢٨.
٢. المصدر نفسه، ص١١٢.
٣. المصدر نفسه، ص٦٤.
٤. المصدر نفسه، ص١٢٥.

لكثير الغلبة إنه كان أنجح منه في مجال إقامة العلاقات مع بنات المدرسة الحكومية"[١] "حاصله... ركب صاحبنا دماغه... فركب الباص"[٢] "ثمّ اقتعد الأرض، وراح يحكي لها عن أمه التي فقدت عقلها بعد أن فقدت والده، الذي سكت قلبه بعد أن سكت العرب وجومًا وذهولًا حين مات عبدالناصر"[٣] "أرغب في أن ألفت انتباهها، فأغني:- أنا من ضيّع في الأوهام عمره، كنت على يقين من أنها ستعلّق قائلة:- أنت ضيّعت الأراضي التي ورثتها عن أبيك"[٤] "فقطاع الطرق ينتشرون في تلك المنطقة، فإذا وقع بصرهم على امرأة شقراء بيضاء، فإنهم سوف يغيرون على السيارة وينهبون الفتاة، ويتلعبون بها، فلعبت لي بحاجبيها وقالت إنها جاءت بحثًا عن المغامرة"[٥] ويستخدم لغة مغايرة لما يقصد: "ثم انطلقنا نحو الأزرق، قال لي واحد من أولاد الحلال: إن طريق قصر عمرة تبدأ بعد أن أتجاوز الأزرق، قالوا: تترك الطريق العام وتأخذ يمينك على طول، وبعد ربع ساعة تجد نفسك أمام قصرة عمرة، وأنا من حماقتي صدقته..."[٦].

وتكمن المفارقة في استخدام المفردات التي تناقض ما يرمي إليه؛ فهو لا يعني أولاد الحلال، وإنما يقصد عكس ذلك.

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٢٥
٢. المصدر نفسه – ص٣١.
٣. المصدر نفسه، ص١١٧.
٤. المصدر نفسه، ص١٤٧.
٥. المصدر نفسه، ص١١١.
٦. المصدر نفسه، ص١٢٢.

ويستخدم الجناس بطريقة مثيرة: "وأنا أذكر أيام المدرسة، كنت صبيًا وأقرأ كتاب البؤساء، وأبكي، وأقرأ العبرات للمنفلوطي فتنحدر العبرات من عيني.."[١].

مفارقة الصورة أو الوصف:

ثمة تصوير مألوف يقوم به الراوي أو الكاتب، قد يثير الدهشة أو الشعور بالجمال والانبهار؛ ولكن أن يكون التصوير فيه من الغرابة، بل من اللامنطقيّة، فيقف المرء حائرًا في وجه الشبه، أو بين المشبه والمشبه به، فهذا ما نراه شكلاً من أشكال المفارقة.

يقول: "فقد لا تكون الشمس قد طلعت، إذ قد تكون السماء ملبدة بغيوم كثيفة مثل شعر أختي عائشة"[٢] يصوّر "جمعة القفاري" السماء وقد امتلأت بالغيوم المتلبدة بشعر أخته عائشة؛ وما يجعل ذلك مفارقة هو غرابة الوصف والصورة.

ويقول: "اعتذرت مغمغمًا بحزن من الذي فاتته فرصة نادرة، واجتزت الشارع ووقفت أمام دكان الأرمني [غارو] وطلبت قطعة [أيس كريم]، وكانت بيضاء لذيذة مثل آنا كارنينا..."[٣] يشبّه جمعة القفاري في معرض حديثه عن نعمان العموني وعلاقاته الوهمية مع النساء بدءًا بالممثلة

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٦٤.

٢. المصدر نفسه، ص٢٧.

٣. المصدر نفسه، ص١٢٣.

المصرية نادية لطفي إلى آنا كارنينا التي اخترعها تولستوي، إذ يشبّه قطعة الـ[أيس كريم] بآنا كارنينا، وهو تشبيه غير مألوف.

يقول: "ألفيت ابنة أختي الكبرى تعدّ طعام الفطور كالعادة، وأهمّ طقوس إعداد الفتاة للفطور، هو طقس الضجة والصخب، إذ تحس وهي تعدّ الفطور أنها تعدّ أمة كاملة للخلاص من عبوديتها، إنها تعدّ الفطور وكأنها تعدّ العدّة لحرب حاسمة"[١]. ينشئ الكاتب صورة غاية في الغرابة، حين يتحدث عن حكاية ابنة أخته مع إعداد الفطور؛ فهو يشبّه ذلك الحدث بطريقة أعداد الأمة التي تسعى إلى الخلاص من عبوديتها، أو صورة الحرب بما فيها من ضجة وضوضاء.

ويقول: "عقارب ساعتي تقرص صبري"[٢]

يرسم جمعة القفاري مشهد انتظاره الطويل لفتاة سيلتقيها في أحد المقاهي، ثم طال الانتظار، فهو يعبّر عن ذلك بهذه الصورة؛ إذ يجعل من عقارب الساعة عقارب حيوانية تقوم بقرصه في صبره، وهذه صورة غرائبية تثير العقل.

ويقول: "وظلّ كثير الغلبة يلازمني مثل هواجسي، حتى حسبت أنه قدري وقضائي"[٣].

وفي موضع آخر، يقول: "ثمة ما لا تعرفون عن جمعة، لقد كان مزدحمًا بالمعضلات مثلما تزدحم شوارع وسط البلد أيام الخميس بالمارة

---

١. مؤنس الرزاز، ص٢٩.

٢. المصدر نفسه، ص٢٦.

٣. المصدر نفسه، ص١٣٩.

والسيارات، ومقفرًا من الصداقات مثل شوارع الأحياء الراقية أيام الجمعة"[١].

تكمن المفارقة في التشبيه الغريب الذي لا يخطر على القلب؛ فما صلة المعضلات أو الصداقات بالشوارع سواء أكانت في أحياء راقية أم أحياء شعبية؟!.

ويقول: "كنت مثل بائع خضرة في سوق الخضار، عندي اكتئاب وإدمان وأرق، ونقص مروع في القدرة على التأقلم والتكيف، وصعوبة في إنتاج الأصدقاء، وعسر في التعبير عن الذات، وزكام متصل، وشعور غامض بالخطر، وإحساس بأن شبح الموت يحوم حولي... والقائمة طويلة مثل [ورق التواليت] عدم المؤاخذة[٢].

أيّ فكاهة سوداء، وأيّ ألم يشعر به جمعة القفاري، ذلك المثقّف، الكاتب، القوميّ، الوطنيّ، حين تتكالب عليه الأمراض النفسية، فيرى حياته بمنظاره الأسود، أشبه ما تكون [بورق تواليت].

مفارقة الحدث:

يمرّ الإنسان الطبيعي في حياته بأحداث متتابعة، فإن كان منطقيًّا في تعاطيه معها، وفي تفاعله مع الأزمنة والأمكنة؛ فستخرج الأحداث مهما اختلفت طبيعية معقولة، ولكن أن يكون التعامل معها بطريقة غريبة، فهذا يخرج من المألوف إلى الغرائبية، وهذه صور من مفارقة الحدث:

---

١. مؤنس الرزاز، ص٢٠.

٢. المصدر نفسه، ص٢٠.

يقول: نعم، أنا جمعة الذي ورث عن أبيه عشرة دونمات من الأرض، كانت تساوي في الخمسينات مئة دينار، وفي السبعينات، أيام الطفرة باتت تساوي مليون دينار، وها هي اليوم لا تكاد تساوي مئة ألف دينار، الخطير في الأمر أنني بعت نصفها قبل الطفرة، والنصف الثاني بعد الطفرة، وأنفقت نقودي على الزواج والمستشفيات وفي أمور سخيفة لكنها نبيلة. كنت مليونيرًا ذات يوم، مع إنني عاطل عن العمل!"[١].

كان من المفترض أن جمعة القفاري ما زال مليونيرًا بحكم ماله الكثير الذي يتنامى ويزيد، ولكنه ينقلب مع الزمن إلى فقير محتاج وعاطل عن العمل، والسبب غير مقنع؛ إذ يرى أن الزواج والمرض هما السبب، وهذا يشكل مفارقة كبيرة؛ ثم تبرز المفارقة أكثر وضوحًا، وفي الوقت نفسه أكثر إيلامًا، حين ينفق هذه الأموال الكثيرة في أمور سخيفة، ويرى من جانب آخر يثير السخرية؛ بأنّ هذه الأمور السخيفة هي نبيلة، وعلى قدر كبير من النبل.

يقول: ملاحظة، أين أجعل نعمان يتعرف إلى نانسي... في لندن أم في واشنطن؟ إنني أعرف تفاصيل التفاصيل عن حياة نعمان العموني..."[٢].

ويتساءل جمعة القفاري الذي يكتب رواية عن نعمان العموني، أين يجعل التعارف بين نعمان ونانسي؟ وهو يطرح ذلك على المتلقي، وهذا من المواقف التي تثير الغرابة.

---

١. مؤنس الرزاز، ص٧.

٢. المصدر نفسه، ص١٢٢.

يقول: "وأخيرًا أقبل الباص، فلم يعد قلبه يخفق بشدة، قلبه يخفق بشدة؛ لأن ركوب الباص مغامرة بالنسبة لصاحبنا!، وتنفس الصعداء حين ارتقى إلى الباص، لكنه سرعان ما ارتبك واستعاد رعشة أعصابه وأطرافه، عندما اكتشف تلك الآلة الغامضة التي يدس الركاب قروشهم فيها"(١).

تكمن المفارقة في استخدام جمعة القفاري للباص لأول مرة، بالرغم من عمره المتقدم في الحياة؛ إذ إنه لا يكاد يمتلك تجربة في ركوب باص من قبل، ومن ثمّ تعجبه من آلة التحصيل وكيفية عملها.

ويقول: أنا [محنقًا]: أنت طلبت إغلاق النافذة.

العروس [بعصبيّة]: لا أستطيع النوم على الجانب الأيسر من السرير.

أنا؟ ولا تستطيعين النوم في غرفة فيها رجل يدخن؟

العروس [وهي ترتعش غضبًا]: بالضبط أنا [بنفاد صبر]: حسنًا إذن ينبغي أن ينام كل منا في غرفة منفصلة.

العروس [متحدية]: بل في فندقين مختلفين.

أنا [مزايدًا]: أو في بلدين مختلفين.

العروس: بل في قارتين متعاديتين.

انتفض واقفًا، أحمل حقيبتي وأخرج من الباب الشرقيّ، بينما تحمل هي حقيبتها وتغادر الغرفة من الباب الغربي.. إلى الأبد"(٢).

---

١. مؤنس الرزاز، ص٣١.

٢. المصدر نفسه، ص٣٦.

قد يحدث الطلاق بين الزوجين على مفاصل مهمة في الحياة؛ فهذا أمر لا غرابة فيه، ولكن أن يحدث الطلاق بينهما في الليلة الأولى من الزواج، وعلى أمور هامشية: مثل النوم على يسار السرير أو يمينه، أو التدخين داخل غرفة النوم أو خارجها، فهذا يشعل المفارقة ويثيرها في نفس المتلقي.

يقول: سأقضي أسبوع الإجازة هذا في مستشفى، أعجبتني الفكرة، ففكرت في تعديلها وتطويرها، قلت: ولماذا تقضي أسبوعًا في مستشفى واحد؟ لماذا لا تقضي ثلاثة أيام في مستشفى الخالدي، وثلاثة أيام في مستشفى الشميساني للتوليد؟ وقلت لنفسي مستخفًّا ببعض خواطري الهوجاء، إن مستشفى الشميساني للتوليد لا يستقبل حالات الولادة فقط، ثم لعلي أنجب فكرة روائية في مستشفى الولادة!... وهكذا فعلت"[1].

من المتعارف عليه أن يقضي الإنسان إجازته في فندق على البحر، أو سفر إلى الخارج أو الذهاب إلى الطبيعة المفتوحة... ولكن أن يقضي إجازته في مستشفى الولادة، فهذا أمر يثير المفارقة؛ بل إن الأمر يتجاوز ذلك حين يقنع جمعة نفسه بأنه يريد أن يتأثر بجوّ مستشفى الولادة؛ لينجب هو فكرة روائية!!

ويقول: "ووقف شعر رأسي، إنها تقرأ أفكاري، أنا لم أسألها، قالت: أنها سئمت العبودية. قالت: يريدنا أن نكون واحدًا في الفكر، واثنين في الفراش.

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٣٣.

احتقن وجهي خجلًا، عادت إلى آلة طباعتها وسألت إن كنت جائعًا، وكنت جائعًا، ومعدتي خاوية، غير أن صراحتها الجريئة، وقراءة أفكاري المذهلة... سدّت نفسي"[١].

تكمن المفارقة في الحديث الذي تحدثت به عائشة -أخت جمعة- حول حياتها الخاصة مع زوجها، وهو حديث يحمل معاني جنسية يجب أن لا تتفوه بها أمام أخيها من حيث العرف.

ويقول: ثم انطلقنا نحو الأزرق، قال لي واحد من أولاد الحلال إن طريق قصر عمرة تبدأ بعد أن أتجاوز الأزرق، قالوا: تترك الطريق العام وتأخذ يمينك على طول، وبعد ربع ساعة تجد نفسك أمام قصر عمرة، وأنا من حماقتي صدقته... ولم أسأل وزارة السياحة والآثار، وأخذت يميني على طول، والشمس تكوينا بلهبها وتصهر السيارة والأبدان والحجارة، ونانسي تلتقط الصور وتغني وتطلق صرخات الإثارة والفضول والفرح، وأنا ألعنها وألعن نفسي بسري..."[٢] ومن المفترض أن تتأثر نانسي بالأجواء القاسية من الحرّ الشديد، والشمس اللاهبة، وبعد المسافة، والضياع، والحالة النفسية لنعمان العموني؛ ولكنها تتجاوز ذلك كله، وتفعل ما يثير الألم لدى نعمان من الرقص والغناء والتقاط الصور.

مفارقة الرؤية:

تختلف رؤية الأشخاص إلى الحياة ومفرداتها، والاختلاف المعقول سنة الكون والخلق، ولكن أن تتجاوز الرؤية المعقول، أو أن تنظر بطريقة

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٥١.

٢. المصدر نفسه، ص١٥٢.

مختلفة ولو كانت معقولة إلى الأشياء، أو أن تأتي بشيء جديد فيه من الغرائبية والعجائبية، فهذا ما يثير المفارقة، ومن الصور التي تمثّل ذلك:

قوله: الجزار قال إن عمّان ليست الأردن، وأنه يستمع أحيانًا إلى قصص جمعة عن نعمان العموني فلا يستطيع لها فهمًا، وأضاف وهو يمسح دم عجل عن ظاهر يده بلسانه أن [أدر] أو [الكرك] أو [الرمثا] أو [السلط] أو [قفقفا] أو [الطفيلة] إلخ... تجسّد روح الأردن أكثر من عمان..."[١]

تكمن المفارقة في رؤية الجزار إلى عمّان حيث ينفي أن تكون أردنية الروح، فهناك قرى ومحافظات تمثّل الأردن أكثر من عمّان العاصمة التي يفترض أن تكون أكثر تمثّلًا وروحًا.

ويقول: وأنا جمعة القفاري الذي أحبّ المغامرات ولم يخض في لجتها، جمعة الذي أحبّ عشرات النساء، من [آنا كارنينا] التي اخترعها تولستوي إلى [نادية لطفي] التي اجترحتها السينما المصرية، لا، لم أحبّ امرأة واحدة من لحم ودم، مثل هذا الحب يفسد الحلم، يفسد الغموض الذي يضفي على الحياة مغزى مبهمًا يثير الفضول"[٢].

من الطبيعة البشريّة أن الرجل والمرأة يعيشان الحبّ والعلاقة العاطفية كواقع ملموس، ويسعيان إلى ترجمة ذلك من خلال الزواج؛ ولكنّ جمعة

---

١. مؤنس الرزاز، ص١٥٩.

٢. المصدر نفسه، ص٦.

القفاري يرفض هذا الناموس الكوني، ويرتبط بالمرأة الحلم التي ليست من لحم ودم، وهو يقدّس هذا الحبّ الذي يجعل الحياة أكثر روعة وجمالًا كما يعتقد، وهذا يشكّل رؤية غريبة للحبّ والحياة.

ويقول: "نعم، بوسع الإنسان في الأردن أن يولد في عمان الغربية ويموت فيها، دون أن يكتشف مجاهل [جبل النظيف] الذي تحتاج شوارعه إلى حملة تنظيف، ولا [جبل النزهة] الذي لا يصلح للنزهة"[١].

يرسم الكاتب مفارقة تتمثّل في رؤيته لبعض الأمكنة والأسماء والأشياء؛ فهو يرى أن "جبل النظيف" لا يتناسب مع اسمه، فدلالة الاسم تبين نظافة المكان، ولكن حسب رؤيته أن المكان ليس نظيفًا، ويحتاج إلى الاهتمام، وكذلك "جبل النزهة"، الذي يدلّ اسمه على التنزه والاستجمام، غير أن الواقع مختلف تمامًا؛ فهو لا يصلح للنزهة.

١. مؤنس الرزاز، ص٥.

الخلاصة:

برزت المفارقة في رواية "جمعة القفاري، يوميات نكرة" ظـــاهرة أسلوبية واضحة، فقد تعامل الكاتب معها بحرفية واتقان، إذ اختار المؤلف الأسلوبية المثلى في عمله الإبداعي، التي تناسب شخصية إشكالية مثـــل: "جمعة القفاري". وقد ظهرت صور المفارقة في العنوان العام للنص، وفي العناوين الفرعية، وفي الرؤية التي كانت تنطلق من خلالها الشخصـــيات، وكذلك في الأحداث العامة، وفي اللغة، والوصف.

ونستطيع القول: إن رواية "جمعة القفاري، يوميات نكرة"، هي من بين روايات مؤنس الرزاز، "رواية مفارقة"؛ بما فيها من تكثيف لاستخدام هذه التقنية الفنية، وهي تعكس بشكل أو بآخر شخصية "الرزاز" الحقيقيـــة التي تنتهج المفارقة كأسلوب حياة وإبداع.

المصادر والمراجع

١. بسام قطوس، **مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.

٢. حسن حماد، **المفارقة في النص الروائي**، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣. خالد سليمان، **المفارقة والأدب "دراسات في النظرية والتطبيق"**، دار الشروق، ط١، عمان، ١٩٩٩م.

٤. سامح الرواشدة، **المفارقة في شعر أمل دنقل**، دراسات (العلوم الإنسانية)، المجلد٢٢ (أ)، العدد (٦، الملحق)، ١٩٩٥م.

٥. عبدالقادر الرباعي، عرار: **الرؤيا والفن (قراءة من الداخل)**، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٢م.

٦. مؤنس الرزاز، **جمعة القفاري يوميات نكرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

٧. ميويك، د.سي، **المفارقة، "موسوعة المصطلح النقدي"**، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت،١٩٩٣م.

٨. مجموعة من المؤلفين، **هاملت عربي "مؤنس الرزاز"**، شهادات وحوارات ودراسات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٩. ناصر شبانة، **المفارقة في الشعر العربي الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

References

1. Bassam Kattous, Textual Approaches in Modern Palestinian literature, **Mukarabat Nassiyah fi Aladab AlFilistini AlHadeeth**, Dar AlShorooq li Anasharwa Atwazee, First Edition Amman, 2000.
2. Hasan Hammad, Paradox in Narrative Text **AlMufarrakah fi AlNassAl Kewaei,** AlMajlis AlAaala li athaqafa, Dar AlShorooq , First Edition, Amman 1999.
3. Sameh AlRawashdeh, **Paradox in Amal Dankal's Poetry**, Dirasat (Humanities), Vol. 22(A). Issue :6, Appendix, 1995.
4. Abdel Qader Alrabbaei, Arar, **Vision and Art, A Reading from Within.** Azmenah Li AnnasharWa Atawzee', 2002.
5. Munes AlRazzaz, **Jumaa AlKafaari, Diary of Nobody,** AlMuasasah Alarabiyah Li AdirasatWa Alnasher, First Edition, 1993.
6. Muwek, D.C. **Paradox, Encyclopedia of Critical Terms**, AlMuasasah Alarabiyah Li AdirasatWa Alnasher, First Edition, 1993.
7. A Group of Authors **"An Arab Hamlet".** Testimonies, Dialogues and studies, AlMuasasah Alarabiyah Li AdirasatWa Alnasher, First Edition, 2003.
8. Nasser Shabanah, **Paradox in Modern Arabic Poetry,** AlMuasasah Alarabiyah Li AdirasatWa Alnasher, First Edition, 1993.